

روح المعاني

على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج ولو كنتم الخ وقد اطردهم الحذف في مثل ذلك لوضوح الدلالة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك نزلت على ماروي عن الحسن وابن زيد في اليهود وذلك أنهم كانوا قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإساءة فقالوا : مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل فالمعنى إن تصبهم نعمة أو رخاء نسبوها إلى الله تعالى وإن تصبهم بلية من جذب وغلاء أضافوها إليك متشائمين كما حكى عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وإلى هذا ذهب الزجاج والفراء والبلخي والجبائي وقيل نزلت في المنافقين ابن أبي وأصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم أحد وقالوا للذين قتلوا لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا فالمعنى إن تصبهم غنيمة قالوا : هي من عند الله تعالى وإن تصبهم هزيمة قالوا : هي من سوء تدبيرك وهو المروى عن ابن عباس وقتادة وقيل : نزلت فيمن تقدم وليس بالصحيح وصح غير واحد أنها نزلت في اليهود والمنافقين جميعاً لما تشاءوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقطعوا وعلى هذا فالمتبادر من الحسنة والسيئة هنا النعمة والبلية وقد شاع استعمالها في الطاعة والمعصية وإلى هذا ذهب كثير من المحققين وأيد بإسناد الإصابة اليهما بل جعله صاحب الكشف دليلاً بيناً عليه وبأنه أنسب بالمقام لذكر الموت والسلامة قبل وقوله تعالى قل كل من عند الله أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يرد زعمهم الباطل واعتقادهم الفاسد ويرشدهم إلى الحق ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال أي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقاً وإيجاداً من غير أن يكون لي مدخل في قوع شيء منها بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلاً ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتي بيانه .

وهذا الجواب المفضل في معنى ما قيل : رداً على أسلاف اليهود من قوله تعالى : إنما طائرهم عند الله أي إنما سبب خيرهم وشرهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يستند ذلك إليه ويطيروا به قاله شيخ الإسلام ومنه يعلم اندفاع ما قيل : إن القوم لم يعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل السيئة كما اعتقدوا أن الله تعالى فاعل الحسنة بل تشاءوا به وحاشاه فكيف يكون هذا رداً عليهم ولا حاجة إلى ما أجاب به العلامة الثاني من أن الجواب ليس مجرد قوله تعالى : قل كل من عند الله بل هو إلى قوله سبحانه : وما أصابك من سيئة الخ وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم أي اليهود والمنافقين والمحتقرين لا يكادون يفقهون أي يفهمون حديثاً .

- أي كلام يوعظون به وهو القرآن أو كلاما ما أو كل شيء حدث وقرب عهده كلام من قبله
تعالى معترض بين المبين وبيانه مسوق لتعبيرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجب من كمال
غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها والجملة المنفية حالية والعامل فيها ما في
الظرف من الاستقرار أو الظلرف نفسه والمعنى حيث كان الأمر كذلك فأى شيء حصل لهؤلاء حال
كونهم بمعزل من أن يفقهوا نصوص القرآن الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى أو بمعزل
من أن يفهموا حديثا مطلقا عدوا كالبهائم التي لا أفهام لها أو بمعزل أن يعقلوا صروف
الدهر وتغيره حتى يعلموا أنه لها فاعلا حقيقيا بيده جميع الامور ولامدخل